عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية ودور المرأة فيها خلال القرنين

(٢ – ٣ هـ/ ٨- ٩م)

فاطمة مطهري

أستاذ مساعدة تاريخ المغرب الإسلامي
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة تلمسان – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

فاطمة مطهري، عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية ودور المرأة فيها خلال القرنين (٢ – ٣هـ/ ٨ – ٩م).- دورية كان التاريخية.- العدد التاسع عشر؛ مارس ٢٠١٣. ص ١٠١ – ١١٠.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 - 0449

كان التاريخية: رقمية الموطن .. عربية الهوية .. عالمية الأداء

مُلَخّصْ

يكشف لنا هذا المقال والمعنون بـ "عوامل ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في الدولة الرستمية ودور المرأة فيها" عن تأثير الأوضاع والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في تطوير الحياة الثقافية والإشعاع الفكري عند الرستميين، وفي مقدمة تلك الأوضاع جهود وإسهام الأئمة أنفسهم في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والعلمية عن طريق تشييد المساجد والدور العلمية، وجلب الكتب من المشرق وعقد الحلقات في المساجد للرجال والنساء على حد سواء وكذا عقد المناظرات العلمية، مما ضاعف نشاط التأليف للرد على المخالفين، ويبرز دور العاصمة تيهرت التي عرفت توسعًا عمرانيًا كبيرًا، خاصةً في عهد الإمام أفلح، وبلغت مكانة بارزة في شتى المجالات حتى شبهت بقرطبة ودمشق وبغداد، وكان لتعايش الفرق والمذاهب الدينية في الدولة الرستمية أثره الإيجابي أيضًا في الحركة الفكرية، ضف إلى ذلك دور التبادل التجاري والرحلة العلمية في التواصل الثقافي والتأثير العلمي بين الدولة الرستمية وبقية حواضر المغرب الإسلامي. كما يتطرق المقال في العنصر الثاني إلى مكانة المرأة الرستمية في تفعيل الحركة الفكرية، فقد كانت بحق عالمة وفقيهة وشاعرة.

مُقَدِّمَةْ

لقد تميز القرن الثاني الهجري الموافق للثامن الميلادي بمجموعة من التطورات السياسية وتحديدًا في النصف الثاني منه، والتي ترجمت ما كان يحدث في المشرق من صراع سياسي حول الخلافة وهو ما تمخض عنه تأسيس دول مستقلة عن مركز الخلافة، بنيت على أسس وأفكار مذهبية، وكانت هذه الدول الإطار الذي شكل ما يمكن تسميته بالنهضة الفكرية والثقافية في المغرب الإسلامي وبالأخص في الدولة الرستمية.

لا يختلف اثنان أن النهضة الفكرية في الدولة الرستمية كانت وليدة عوامل وظروف عدة، وبمساهمة جهود الرجل والمرأة على حد سواء، ولعل الجو العلمي الذي كان سائدًا في الأسرة الرستمية الحاكمة، أثر في التجاوب الفعلي من طرف أفراد المجتمع الرستمي، وبروز فئة من العلماء الأجلاء في مختلف المجالات: العلوم النقلية والعقلية، والتي حملت مشعل العلم في الأوساط الرستمية خاصةً والبلاد الإسلامية عامة.

وقد تظافرت عدة ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية في النهضة الثقافية والثراء المعرفي في الدولة الرستمية، فيما تمثلت هذه الظروف والعوامل؟ غير أن المتتبع لمسار التاريخ الثقافي للدولة الرستمية وبقية دول المغرب الإسلامي يظهر له جليًا ويرى بوضوح ذلك التقصير والإنكار لدور ومساهمة المرأة في تفعيل الحركة الفكرية والعلمية، وهذا ما شدني إلى محاولة البحث فيه، لكني لم أعثر إلا على إشارات عابرة وبشكل مقتضب خاصةً في هذه الفترة، وبالخصوص إذا قورن بإسهامات الرجل في النشاط الفكري والثقافي. فإن كان للمرأة مكانة مرموقة ودور بارز في تنشيط الحركة

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الفكرية، فما مظاهر ذلك؟ وماهي المجالات التي برزت وساهمت فيها؟

أولاً: عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية في الدولة الرستمية

١/١- تشجيع الأئمة الرستميين للحركة الفكرية:

مما لا شك فيه؛ أن الطابع الذي كان غالبًا على الأئمة الرستميين زهدهم في شؤون الحياة الدنيا، وعدولهم عن شهواتها وملذاتها، حيث كان همهم الوحيد هو الظفر بمرضاة الله تعالى، لذلك كانت عنايتهم الكبيرة بالعلوم خاصة الدينية منها.[١] ولذا فقد بذل الأئمة الرستميون جهودهم في سبيل تنشيط الحركة الفكرية والعلمية في ربوع دولتهم من تشييد للمساجد والدور العلمية وجلب الكتب من المشرق، فكان لاهتمامهم أثر في تفعيل المجال العلمي،[٢] كما اهتمت أيضًا الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار، ولعل من أشهر مكتباتها، مكتبة المعصومة التي كانت تحوي آلافا من المجلدات والكتب، قدرها الباحثون بثلاثة آلاف مجلد،[٣] فمن بين ما كانت تحويه، كتب الحرف والفنون الدينية والدنيوية،[٤] ولعل تسامح الأئمة هو الذي زاد وأفاد توسع النطاق المعرفي، وأصبحت بهذا تيهرت توازي القيروان حاضرة العلم،[٥] حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم وشرائها ونشرها في كل طبقات المجتمع، وذلك بشجعهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تيهرت وبجبل نفوسة،[٦] حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، ومبايعته أن يكون عالمًا ورعًا.[٧]

وهذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لاسيما الأولين منهم، فالإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم من المشرق، واعتبر من حملة العلم كما ذكرنا،[٨] وكان له من العلم الغزير، حيث قال عنه أحد معاصريه: "لا أعلم من يخرج مسائل الدماء، أهل القبلة في زماننا إلا عبد الرحمن بن رستم في المغرب كما كان سمحًا غير متشدد في الدين"،[٩] بارعًا في علوم الدين واللغة والفلك، وكان محبًا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابًا في التفسير،[١٠] هذا الذي تنافس عليه الإباضية الوهبية والنكارية على اقتنائه، ذلك لأن الكتاب هو لأول إمام لم يقع عليه الاختلاف، وتولته الطائفتان معًا، أما كتابه الثاني فقد جمع في خطبه التي كان يلقيها وما أسهم به ذلك في نشر الدين والفقه والثقافة،[١١] ليليه فيما بعد ابنه الإمام الرستمي الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن (١٧١- ٢٠٨هـ)، والذي سار على خطى أبيه، فكان عالمًا يلقي دروسًا في مساجد جبل نفوسة.[١٢] ومن المؤلفات التي نسبها إليه ابن الصغير هي نوازل[١٣] نفوسة الجبل، ويضيف ابن الصغير أن هذا الكتاب كان في أيدي الإباضية، مشهورًا عندهم، معلوما يتداولونه قرنًا بعد قرن، وقد كان هذا الإمام يبعث بالأموال إلى العراق لشراء الكتب، ولا يمل قراءتها شتاءً أو صيفًا.[١٤]

أما الإمام الثالث، أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨- ٢٥٨هـ) فيعتبر عهده من أزهى عصور الدولة الرستمية ثقافة وفكرًا، ورخاءً اقتصاديًا، فقد كان قبل توليه الإمامة يقعد بين يديه ثلاث حلقات في علم الفقه والكلام واللغة،[١٥] وله أجوبة ونوازل تخص المسائل الفقهية، حيث نقل عنه العديد من المؤرخين أمثال أبي زكرياء في الحديث والشعر وغيرهم،[١٦] فأصبح من العلماء المشهورين، وانفرد بأقوال في علم الكلام، واعتبر من أجلها إمامًا، كما بلغ مبلغًا في حساب الغبار، والنجامة، كما حث على دراسة الكتب حيث قال: "عليكم بدراسة كتب المسلمين، لاسيما كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"،[١٧] والإمام محمد بن أفلح بن عبد الوهاب الذي قال عنه الدرجيني: "فكانت نفوسة فيما قيل لا يعدلون أيامه وسيرته إلا بأيام جده عبد الرحمن وسيرته، وذلك أنهم اتخذوا مجلسه حينئذ كالمسجد، فطائفة يصلون وطائفة يقرأون الكتاب، وطائفة يتذاكرون في فنون العلم... وله تآليف في الرد على أهل الخلاف لا يشق فيها غباره".[١٨]

أما عهد الإمام أبي بكر الرستمي، فيبدو أنه كان عهد شعر وأدب، حيث ذكر عنه ابن الصغير أنه كان يحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين، وكان يحب اللذات ويميل إلى الشهوات،[١٩] كما كان مشهورًا بعلمه، فقد ألف عدة كتب ليجيب المخالفين،[٢٠] ويدافع عن دينه ويرد على الفرق في مقالاته.[٢١] فكان يحثهم على الاهتمام بالأدب والشعر والتاريخ، أضف إلى ذلك جعلهم اللغة العربية لغة رسمية،[٢٢] فاعتبروها لسان الدولة الرستمية، وما دل على ذلك تلك الرسائل التي كان يبعثها الأئمة الرستميون إلى الأئمة البربرين في الحث على الطاعة والتمسك بالدين، وعقود ولايتهم لعمال طرابلس، وبالتالي كانت اللغة الرسمية، ولسان علومهم وآدابهم أيضًا،[٢٣] وأسلوبًا لمناظرتهم،[٢٤] ولذلك لشيوع المذاهب في تلقيح الأفكار وخدمة أدباء الإباضية حيث كانت هذه الأخيرة تتمتع بحرية فكرية، وكانت لكل فرقة مسجدها وعلماؤها وحلقات دروسها.[٢٥]

٢/١- تيهرت ودورها في الإشعاع الفكري:

ارتبط إنشاء المدن في المغرب الإسلامي منذ بداية الفتح على غرار مدن المشرق بالإطار التنظيمي للمجتمع الإسلامي، فقد عبرت عن قالب حضاري وفكري للدول التي نشأت في المغرب فشكلت منظومة اجتماعية اقتصادية ثقافية متكاملة.[٢٦] إن المدن المغربية عامة وتيهرت خاصةً والتي شيدت على الأسس المادية والفكرية للحضارة الإسلامية،[٢٧] لعبت دورًا كبيرًا في إثراء الثقافة والفكر الإسلاميين، فقد ظلت زمنًا طويلاً كمراكز لإنتاج علمي وفكري غزير في ظل مؤسسات علمية ودينية زخرت بها المدن المغربية، ومن أبرز المدن التي قادت هذا الدور الفعال في بلاد المغرب، تيهرت التي عرفت توسعًا عمرانيًا كبيرًا، خاصةً في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب،[٢٨] فقد أصبحت مقعدًا للعلماء والفقهاء والأدباء بمختلف أفكارهم المذهبية، فكان شأنها كبيرًا بين المدن الإسلامية الأخرى، وما مقارنتها بحواضر العالم الإسلامي في هذه الفترة إلا دليل على

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

المكانة التي بلغتها في مجالات في مجالات عدة وخاصةً الثقافية، فقد شبهها بعض المؤرخين بقرطبة ودمشق وبغداد.[٢٩]

إن مدينة تيهرت لم تكن فقط العاصمة السياسية للرستميين، بل كانت عاصمتهم الثقافية والحضارية، ومن أكبر المؤسسات الثقافية والعلمية في تيهرت مسجدها الجامع، وهو ثاني معلمة دينية وحضارية في المغرب الإسلامي بعد القيروان، والذي كان بمثابة مدرسة الإباضية،[٣٠] ليس فقط لإباضي الدولة الرستمية بل لمعتنقي هذا المذهب من كل مكان لدور واهتمام أئمته في إنشاء الفقه الإباضي وتطويره، دون أن ننسى دور مكتبة المعصومة التي جسدت جهود أئمة الدولة الرستمية وحققت مساعيهم في تحويل حاضرة دولتهم إلى مركز إشعاع فكري يضاهي لا بل ينافس المراكز الثقافية الأخرى في العالم الإسلامي في زمانها،[٣١] خاصةً وأن الأئمة الرستميين قاموا بتزويد مكتبتهم بأمهات الكتب ونفائسها، فكانت عامرة بمختلف ألوان الأدب وفروع العلم، وما يفسر ضخامة الكتب التي حوتها أنه قيل أنها قدرت بـ ٣٠٠ ألف مجلد[٣٢] في شتى صنوف العلم والأدب.

إن موقع تيهرت الوسطي في المغرب الإسلامي جعلها ملتقى تجاريًا وعلميًا ومذهبيًا، فقد توافد عليها عدد كبير من الناس إما لغرض الإقامة الدائمة أو ارتحالاً طلبًا للعلم، كما كانت التجارة وما توفره من مكاسب عاملاً مهمًا في الترحال إليها، فقد سكن تيهرت أهل المشرق والقيروان ومن الأندلس، فضلاً عن بعض المسيحيين وحتى اليهود،[٣٣] وبما أن أصول الدول التي تأسست في المغرب كانت عربية، فقد حرص أمرائها وأئمتها على تنشيط حركة التعريب،[٣٤] وقد واكب انتشار اللغة العربية، التعريب الجنسي،[٣٥] وهو يعني استقرار القبائل العربية في المدن، وبناء مدن حديثة انصهر فيها العنصر العربي والبربري في مجتمع واحد ولاءه للعقيدة أو المذهب الديني الذي ينتمي إليه، كما أن ازدهار التجارة في المدن ترتب عليه تحول في البنية الاجتماعية، فقد شهد القرنان الثاني والثالث الهجريين،[٣٦] انتقال قبائل بدوية إلى المدن وهو انتقال من البداوة إلى التحضر، ما يعني زيادة فرص تعلم العربية بين هذه القبائل.

إن المدن المختلطة[٣٧] التي يسكنها العرب والبربر والتي أسهمت في نشر العربية بشكل واسع، فالبربري المسلم كان يرى لزامًا عليه تعلم العربية حتى يفهم دينه، فالإسلام إذا هو الحافز الذي دفع البربر إلى الإقبال على تعلم اللغة العربية، فضلاً على أن اكتساب العلم والثقافة في ذلك العصر يتطلب معرفة اللغة العربية. وما يمكن قوله هو؛ أن المدينة تيهرت وحواضر أخرى كالقيروان وفاس كانت بوتقة انصهرت فيها عناصر الإشعاع الحضاري وهو ما يعني النهضة.[٣٨]

٣/١- تعايش المذاهب والفرق الدينية في الدولة الرستمية:

كان المغرب الإسلامي تربة خصبة لاحتضان ونمو الفرق والمذاهب الدينية والإسلامية التي نشأت في المشرق، وتسربت إلى المغرب في فترات مختلفة، إما نتيجة صراعات جعلت زعماءها يفرون بأفكارهم لبثها في أوساط البربر أو نتيجة وفود العلماء والفقهاء القادمين من المشرق خاصةً في عصر الولاة.[٣٩] إن المتتبع لتاريخ المغرب الإسلامي يجد أنه معلم من معالم الحضارة الإسلامية، ويظهر له هذا جليًا في الحياة الفكرية بمختلف اتجاهاتها لاسيما منها الدينية والمتمثلة أساسًا في المذاهب الإسلامية بمختلف أنواعها السياسية والعقائدية من خوارج وشيعة ومعتزلة والفقهية من حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية، اختفت في غالبيتها من حواضر المغرب الإسلامي، وبقي منها راسخًا المذهب المالكي، الذي كان أول تواجد له بمدينة تيهرت في عهد عبد الرحمن بن رستم (١٤٤- ١٦٨هـ) لأن عصره تميز بسيادة التعايش الفكري وتنوع المذاهب والمساجد، فهذا مذهب البصريين والقيروانيين الذين ينتمون للمذهب المالكي.[٤٠]

وقد كان لهذا التواجد مظاهر فيما بعد، تجسدت في مجموعة من العلماء الذين مثلوا المذهب المالكي ومنهم: ابن الصغير الذي تذكر المصادر عنه الكثير، إلا أنه عاش في تيهرت في العصر الرستمي الأخير في فترة أبي اليقظان بن أفلح (٢٤٢- ٢٨١هـ)،[٤١] كشيخ من شيوخ المالكية، ولم يقف ابن الصغير موقف عداء من الإمارة الرستمية بالرغم من مخالفاته للمذهب الإباضي، وقد كان له دور في نشر الفقه المالكي، وتجلى في محاوراته ومناظراته المذهبية مع رؤساء الإباضية والمعتزلة خاصةً في المسائل الفقهية،[٤٢] وبكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي، إمام فقيه عالم بالحديث،[٤٣] نشأ بتيهرت وبرز دوره في نشر المذهب المالكي، من خلال رحلته إلى المشرق ٢١٧هـ، فاجتمع بعلمائه وسمع الحديث منهم ثم عاد إلى القيروان، وسمع من سحنون وغيره،[٤٤] وتصدر للعلم بجامعها الكبير، فرحل إليه أهل إفريقية والأندلس.[٤٥]

إن إقبال أهل المغرب على هذا المذهب يعود خاصةً إلى رحلة طلب العلم والتي كانت وجهتها في معظمها إلى الحجاز أي المدينة وميلهم إلى الحجاز يفسره ابن خلدون بكون البداوة كانت غالبة عليهم، والحجاز أنسب لبداوتهم،[٤٦] فأخذوا الكثير عن شيوخها وفقهائها. وكذلك المذهب الحنفي الذي انتشر في مناطق واسعة من العالم الاسلامي ومنها بلاد المغرب في عهد الدولة الأغلبية،[٤٧] حيث كان أمراؤها مرتبطين اسميًا ومذهبيًا بالعباسيين، لكن الرعية اعتنقت المذهب المالكي الذي ترسخ في عهد الفقيه سحنون الذي أثر تأثيرًا بالغًا في دولة الأغالبة وأمرائها الذين عرفوا مكانتهن فولوه القضاء سنة ٢٣٤هـ فلم يتعرضوا له في أمره ونهيه، ولو كان ذلك ضد مصالحهم، وهذا ما يعلل غلبة المذهب المالكي في المغرب وتمسك أهل هذه البلاد به، لأن سحنون بتوليه القضاء قام بتفريق حلقات جميع المخالفين ومنع الفتوى بغير مذهب مالك. وهو العامل الذي أدى إلى تراجع نفوذ المذهب الحنفي في بلاد المغرب، كما أن اتصال أصحابه بالمعتزلة حسم الموقف لصالح المالكية، وجعل الأمراء الأغالبة يخضعون للرأي العام، فيجبرون إلى تعيين قضاة القيروان من الفقهاء المالكيين،[٤٨] وهو ما جعل العلاقة بين

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الأحناف والمالكية في القيروان تشهد تنافسًا حادًا،[٤٩] وقد تواجد الأحناف أيضًا في تهرت منذ إمامة عبد الرحمن بن رستم، وكان غالبيتهم من أهل الكوفة حتى أنهم بنوا مسجدًا خاصًا بهم يسمى مسجد الكوفيين.[٥٠]

ساد المذهب الحنفي بلاد المغرب إلى حوالي ٤٠٠هـ/١٩٠٠م وانقطع على يد المعز بن باديس،[٥١] وفقهاء المالكية الذين رسخوا الفقه المالكي في المنطقة.[٥٢] إضافة إلى الفرق الدينية، ومنها الخوارج، وترجع بداية ظهورهم في المغرب إلى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، حيث انتقل من المشرق بواسطة الخوارج الهاربين من قمع الأمويين، ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، الداعية الإباضي اليمني الأصل،[٥٣] ويقول بوزيان الدراجي: "أنه كان من أولئك الخوارج أيضًا مَن كان مندسًا في صفوف جيوش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب، ومنهم عكاشة بن أيوب الفزازي الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب"،[٥٤] إضافةً إلى دور عكرم[٥٥] بن عبد الله مولى بن عباس، حيث تذكر المصادر الإباضية أنه قدم من أرض البصرة ومعه سلمة بن سعيد على بعير واحد، فسلمة يدعو إلى مذهب الإباضية، وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية.[٥٦] ومما ساعد على انتشار مذهب الخوارج في المغرب، تقارب نظريته في مسألة الإمامة المبنية على مبدأ الاختيار ونظام تعيين أشياخ القبائل فيه. أضف إلى ذلك شروع ولاة بني أمية في تنفيذ مشروع توظيف الخراج على الرعايا المسلمين عن مبدأ المساواة بين سائر الفئات.

وانقسم الخوارج وتفرق إلى عدة فرق ومذاهب، أكثرها انتشارًا الأزارقة، النجدية، الصفرية والإباضية.[٥٧] كما وجدت في المغرب الإسلامي فرق الشيعة والتي تشعبت وتفرقت إلى فرق عديدة، من أشهرها والتي كان لها دور في المغرب الاسلامي، نجد الزيدية التي انتقلت إلى المغرب بفرار ادريس بن عبد الله الفاطمي،[٥٨] وهو على مذهب الزيدية،[٥٩] لحق إدريس بن عبد الله في المغرب الأقصى هو ومولاه راشد، فنزل بوليلي وبها يومئذ إسحاق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة سنة ١٧٢هـ[٦٠] وبدأ في الانتشار على يد الداعي أبي عبيد الله الشيعي الذي دخل ديار كتامة سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م،[٦١] وقد قام هذا الداعية بجهود كبيرة حتى استطاع التغلب على الأغالبة، وإخضاع ممالك أخرى في المغرب الأوسط كمملكة بني رستم ومملكة بني مدرار، وقد عُرف بـ "المحتسب"، و"المعلم"، فهو المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية.[٦٢]

لقد ضيق الشيعة الإسماعيلية على فقهاء المغرب من السنة والإباضية على حد سواء، خاصةً بعد ما تمكن الداعية الشعبي من إخضاع العشائر الكتامية وحتى بعض القبائل الأخرى مثل عجيسة وزوارة،[٦٣] فكانوا يجبرون الناس على اعتناق المذهب الشعبي والذي يرفض منهم يحبس أو يقتل.[٦٤] والمعتزلة التي وجدت في بلاد المغرب في أوائل القرن ٢هـ/ ٨م[٦٥] تزامنا مع المذاهب الأخرى مثل الإباضية والصفرية، إذ تشير بعض المصادر أن جماعة من بربر زناتة كانت قد اعتنقت الواصلية، ذلك أن واصل بن عطاء بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب،[٦٦] ويبدو أن انتشاره في المغرب الأوسط كان واسعًا بين قبائل زناتة حيث ذكر البكري أن مجمع الواصلية في عهد الرستميين كان قريبًا من تاهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفًا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها"،[٦٧] وكان أول ظهور لهم على مسرح الأحداث في تهرت في عهد الإمام عبد الوهاب الذي كانت له مناظرات معهم حسب ما يورده ابن الصغير.[٦٨] بينما كان وجود المذهب في المغرب الأدنى بصورة محدودة، إلا ما كان من ميل بعض أمراء الأغالبة لفكر الاعتزال مثل زيادة الله الأول و محمد بن الأغلب.[٦٩] وفرقة المرجئة التي وصلت أفكارها إلى المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري،[٧٠] ولكن ما نستنتجه من هذا المذهب لم يكن له اتباع في المغرب مثل المذاهب الأخرى إنما اقتصر عن أفكار فقط.

ومما لا شك فيه؛ أن تعدد المذاهب والفرق الدينية في المغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، لم يكن فقط عاملاً للفتن والصراعات والتي حددت العلاقة بين أتباع هذه المذاهب والخلافة في المشرق سواء الأموية أو العباسية بل كان له أثر إيجابي في الحركة الفكرية والثقافية في هذه الفترة، فإنه وحرية الفكر والتسامح المذهبي عنصران امتاز بهما أئمة الدولة الرستمية، أضف إلى ذلك تمسك الرستميين بالتفتح الفكري والدليل على ذلك هو عقد مجالس للمناظرة تشجيعًا على طلب القلم وإقبال عليه في جو يسوده التنافس العلمي، وكان من نتائج حرية الفكر وتعدد المذاهب، تعدد حلقات المناظرة والجدل مما أسفر عن نشاط في حركة التأليف، فكثر وضع الكتب للرد على المخالفين.[٧١]

٤/١- التبادل التجاري والثقافي:

الجدير بالذكر؛ أن للتجارة دور كبير في تنشيط وتفعيل الحركة الفكرية والثقافية، فتهرت ذات الموقع الوسطي كان لها شأن كبير في المبادلات التجارية، فتوافد عليها التجار من أماكن بعيدة كبلاد فارس،(٧٢) والعراق ومصر والقيروان، وحتى التجار المسيحيون،[٧٣] على أن العلماء والحجاج الخارجين من تهرت والقادمين إليها مقيمون أو عابرون شرقًا أو غاربًا، قد أسهموا أيضًا في نقل مختلف العلوم والفنون،[٧٤] إن عبارة ابن الصغير "واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة"،[٧٥] تعطينا صورة عن اتساع المبادلات التجارية الرستمية مما سمع للتجار أو الذين كانوا يرافقونهم من طلبة العلم أن يجلبوا معهم نفائس الكتب من المشرق من مختلف إيقاع العلوم لتزويد مكتبة تهرت، وبهذا كانت التجارة وسيلة لتبادل السلع والأفكار إذ أن التاجر غالبًا ما يكون من العلماء،[٧٦] فالتاجر النشط صار بإمكانه أن ينتقل بين قطر وآخر ومدينة وأخرى يشتري ويبيع وما كان له أن يمر بالبلد دون أن يتعرف على أهله ويخبر أحوالهم، وكانت هذه المعرفة تنقل رواية وأخبار، فأصبحت جزءًا

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

من التراث الأدبي للرحلة،[٧٧] خاصةً وأن التجار الرستميين اتصفوا بالحذق والبراعة و الأمانة في المعاملات التجارية.[٧٨]

هذه الصفات الحميدة التي تميز بها تجار تيهرت جعلت أهل السودان الغربي يتقربون منهم، فكانت الآثار الثقافية، تعريب جزء كبير من تلك المناطق و دخولهم في دين الإسلام، دون أن نهمل أثر و دور الرحلة العلمية والتي كانت من المسائل المحمودة في المغرب الإسلامي عمومًا، إذ نتج عنها تبادل المعارف والآراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق والأندلس ويتداولون معهم الكتب والمصنفات وشتى العلوم، فكانت الحركة متواصلة للاستزادة من العلوم،[٧٩] فلم تكن أمام الطلبة في تبليغ العلم حدود بل كانت الرحلة في طلبه من أقوى الدوافع في تذليل الصعاب ومشقة السفر،[٨٠] وبهذه الرحلات احتك علماء المغرب الأوسط بعلماء باقي دول المغرب والمشرق بدافع حب العلم والاستطلاع،[٨١] ويقول ابن خلدون في أهمية وفائدة الرحلة: "...فلقاء أهل العلم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال".[٨٢]

ولا يخفى دور الوراقين والنساخ في عملية انتشار العلوم وتنشيط التبادل الثقافي، فقد كانوا يتنقلون بين الأقاليم الإسلامية شرقها وغربها بحرية تامة، وكانوا يحظون بالمكانة المرموقة والتقدير لدى الأمراء والعلماء،[٨٣] مما أدى إلى انتشار الكتب التي كان يتهافت طلاب العلم على شرائها حتى ولو اقتضى ذلك السفر إلى مدن بعيدة للحصول عليها شراء أو استنساخها، وانتقال صناعة الورق والكاغد وكذا الحبر من بغداد إلى القيروان،[٨٤] هي أهم الوسائل التي ساهمت في تسيير العلم وانتشاره.

ولعل الرحلة العلمية كانت أقوى في عهد التفرق السياسي،[٨٥] فلما ذهبت الوحدة السياسية، بقيت وحدة الدين وهيأت وربطت الحجاج وطلاب العلم ورسل السلاطين وحملة البضائع وزعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة،[٨٦] وهذا ما يفسر لنا عدم تأثر التواصل الفكري بالنزاع السياسي بين الأغالبة والرستميين، إن الاختلاف السياسي وكذا المذهبي مثلاً بين القيروان وتيهرت لم يكن حائلاً دون إقامة جسر من التواصل الفكري والثقافي بين الحاضرتين لوجود مساحة ثقافية مشتركة صنعها العلماء والتجار في حركة انتقالهم بين المدينتين،[٨٧] فقد ساهمت جماعة من القرويين في الحركة العلمية في تيهرت، فظهر فيها عدد من العلماء العرب والبربر منهم محكم الهواري وابنه هود الذي وضع كتابًا في تفسير القرآن من جزأين،[٨٨] وعبد الله بن اللمطي وهو الذي كان يتولى المناظرة المعتزلة، وأبو عبيدة الأعرج الذي قال عنه ابن الصغير أنه: "كان عالمًا بالفقه والكلام والنحو واللغة"،[٨٩] وعبد العزيز بن الأوز (الأوس) وهو صاحب فقه ورحلة نحو المشرق،[٩٠] وغيرهم كثير واستمرت رحلة العلماء وظيفة العلم بين القيروان وتيهرت، وكانت تشد الرحال إلى المشرق قصد الحصول على العلم والفقه من منابعه الأصلية وممن صاحب الأئمة الكبار، وكانت العراق والحجاز بحواضرها منتهى من يرغب في التحصيل العلمي والتفقه من أهل المغرب كل على متحمس لمذهبه فالقيروان وتاهرت هي المحطة الأولى لتلقي المراحل الأولى من العلم ثم تكون وجهته إلى المشرق وغالبًا ما تكون مناسبة الحج فرصة للتزود بالعلم (الحج العلمي).[٩١]

ويقول الدكتور خالد بلعربي أن هذه الرحلات شدت إلى هذه الأماكن في سبيل طلبة العلم، والاستزادة منه، سواء من تيهرت أو إليها، فكانت الصلة قوية بين تيهرت وبين غيرها من مراكز الفكر، ويضيف قائلاً أن تيهرت: "عراق المغرب تعد إحدى معاقل الفكر الإسلامي في القارة الإفريقية، بل امتدت إلى جزر البحر المتوسط وأوروبا،[٩٢] وبالتالي حدوث تقارب ثقافي واجتماعي، وربما عسكري وسياسي وكذا اقتصادي وحضاري بين الرستمية وعدة دول أخرى تدفعهم مصالح متباينة.

وخلاصة القول؛ أن الرحلات العلمية والتجارية بين تيهرت وعواصم الدول المجاورة، ساهمت في التقارب الثقافي وإثراء المعارف والعلوم، كما أدت إلى حدوث التآلف الاجتماعي رغم الاختلاف المذهبي، وهذا ما حصل بين الأغالبة والرستميين، فقد ذكر الونشريسي أن رجلاً من الإباضية الوهبية تزوج امرأة مالكية لتقوى شوكته بمصاهرة أهل السنة.[٩٣] وبهذا تكاملت مجموعة من العوامل وعلى رأسها اهتمام أئمة تيهرت في إضفاء صبغة فكرية متقدة، أسهمت إسهامًا بالغًا في تحريك عجلة الحركة الثقافية، وعكس بذلك الوجه الحقيقي الثقافي لمدينة تيهرت خاصةً والدولة الرستمية عمومًا.

ثانيًا: دور المرأة الرستمية في الحركة الفكرية

احتلت المرأة مكانة محترمة في مجتمع بلاد المغرب الأوسط، وخاصةً في الدولة الرستمية حيث كانت سواء في البادية أم في المدينة، فكانت المرأة تتمتع بحرية واسعة النفوذ،[٩٤] كثيرة الاعتناء بالشعائر الدينية وحملته بأمانة، وأنشأت على نهجه الأجيال والخلف الصالح، فقد برز عدد كبير منهن في الفقه والعلم، وإسداء النصائح للرجال. وقد وصلت درجة العلم حتى الخدم والإماء والذي كان عاملاً مساعدًا في عتقهن ومثال ذلك الأمة السودانية التي تدعى غزالة،[٩٥] هذه التي كانت تخدم مولاها، وبعد نومهم تذهب لتحضر مجلس الذكر عند أبي محمد عبد الله بن الخير.[٩٦]

ولقد بلغت المرأة درجة ذكاء فائقة، ودرجة عالية في الرأي الصائب والسديد، ولعل ما دل على ذلك هو استشارة أبو عبيدة عبد الحميد الحناوي، عجوزًا من جبل نفوسة وهذه الأخيرة مشهورة بالعلم والدين في تحمل مقاليد الحكم التي أوكلها إليه الإمام عبد الوهاب في توليه أمور الجبل والصلاح،[٩٧] وقد عرضت عليه القبول وأقامت عليه الحجج،[٩٨] كما كانت المرأة الرستمية، تشهد المجالس العلمية، ولعل أخت الإمام عبد الوهاب لأحسن

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

دليل، حيث كانا يتعلمان مسائل الفرائض والحساب، فلم يطلع عليهما الفجر إلا وهما قد تعلماها جميعًا،[٩٩] كما كان الأمر كذلك بالنسبة لأخت عمروس[١٠٠] بن فتح، التي كان لها دور ثقافي في الدولة الرستمية، حيث كانت تمثل المساعد الرئيسي لأخيها في الاستنساخ لمدونة أبي غانم بشير بن غانم الخرساني، والتي كانت في اثني عشر جزء، وبالتالي كانت المرأة الرستمية فقيهة، أفتت نساء تلك الفترة، وأظهرت دورًا بالغًا في الحياة الفكرية والعلمية حيث كانت ربة البيت، الفقيهة والورعة الناضجة.

ولا يختلف اثنان أن مما فعل وأثرى الجانب المعرفي والثقافي في أوساط النساء هو جهود الأئمة الرستميين وتشجيعهم للحركة الفكرية، حيث أنهم كرسوا حياتهم للعلوم وشرائها ونشرها في كل طبقات المجتمع، وذلك بشجعهم على طلب العلم، حتى وصل بهم الأمر إلى لتدريس بأنفسهم في جامع تهرت وبجبل نفوسة، حيث أنه كان من بين الشروط التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار الإمام، ومبايعته أن يكون عالمًا ورعًا،[١٠١] وهذا ما لمسناه من أغلب الأئمة الرستميين لاسيما الأولين منهم، كما ذكرنا. وما يهمنا أكثر هنا هو الإمام الثالث وهو أفلح بن عبد الوهاب (٢٠٨- ٢٥٨هـ)، حيث نالت في عهده الدولة الرستمية حظها من الازدهار الثقافي وشاركت المرأة في هذه النهضة الثقافية حيث كانت أخته ممن نبغن في علم الحساب والفلك والتنجيم،[١٠٢] فقد ذكر أبو زكرياء عن هذا الإمام: "وذكروا عنه أنه قعد ذات ليلة هو وأخته، فقال لها، هلم نحسب ماذا يذبح في السوق غدًا أولاً إن شاء الله، فحسب فقال لها أفلح، إن أول ما يذبح في السوق بقرة صفراء، في بطنها عجل ذو غرة في جبهته، فقالت له، صدقت هي البقرة الصفراء وفي بطنها عجل، غير أن الذي رأيته هو طرف ذنبه أبيض تعممه على جبهته، فخلته أبيض الجبهة ذا غرة، وإنما ذلك طرف ذنبه".[١٠٣]

ومما ساعد على نشر العلم في أوساط النساء، نظام الحلقات حيث ذكر ابن الصغير عن الإمام أبي اليقظان بقوله: "وكان إذا جلس (أبو اليقظان) في المسجد الجامع جلس على وسادة من أدم مستقبلاً الباب البحري، وله سارية تعرف به يجلس إليها، ولم يكن غيره يجلس إليها في حلقاته"،[١٠٤] وهو ما يدل بأن الحلقات كانت مرتبطة بالسواري، وربما كان لكل عالم وقت خاص به لعقد حلقاته، أو ما ذكره أبو زكرياء عن الإمام أفلح، "أنه كان هناك أربعة حلقات تدرس العلوم المختلفة على الإمام أفلح وذلك قبل أن يبلغ سن الرشد،[١٠٥] وكانت حلقة العلم تعقد في المساجد في غير أوقات الصلاة، ويذكر سليمان داوود أن الرستميين جعلوا بجوار كل مسجد كبيرًا أو صغيرًا مدرسة للصغار وحلقات العلم للكبار في المسجد، وفي كل مسجد تخصص ناحية للنساء...[١٠٦]

ومما لا شك فيه؛ أن اهتمام الرستميين بنشر العلم والتشجيع على طلبه لم يكن قاصرًا على الرجال دون النساء، إنما كان المجال مفتوحًا أمام المرأة، فكثير من النساء بلغن منزلة كبيرة في العلم، وفي الفقه بوجه خاص، حيث اكتسبن سمعة طيبة بين الفقهاء بل إن منهن من كانت في نفس مكانة الرجال في التضلع في الفقه والعلوم الشرعية الأخرى نذكر منهن:

العالمة زورغ الأرجانية:

وهي من تلامذة أبان بن وسيم النفوسي التي قيل عنها "معها ثلث علم أهل الجبل"، وهو ما يدل على غزارة علمها.[١٠٧]

العالمة النفوسية تكسليت أم يحي:

كانت على قيد الحياة سنة ٢٨٣هـ/٢٩٦م، اشتهرت بقوة الحفظ، قيل أنها حين سافرت إلى الحج كانت بجانب رجل أندلسي أنشد ثمانين بيتًا حفظتها مرة واحدة.[١٠٨]

أم الربيع الوريورية ٢٥٠هـ/٩١٢م:[١٠٩]

امرأة فاضلة اشتهرت بالعلم والكرم، ما جعل المشايخ يلجؤون إليها للمشاورة والمناقشة العلمية.

أخت عمروس بن فتح الدوسي:

عاشت في أواخر القرن ٣هـ/٩م، لم تذكر المصادر اسمها، وهي التي ساعدت أخاها عمروس على استنساخ مدونة أبي غانم بشر بن غانم الخرساني.[١١٠]

زيدية الملوشية:

وهي شاعرة يقال أن شعرها نظمته باللهجة البربرية، لكن للأسف لم نجد أثرًا لهذا الشعر.

خاتِمَة

من بين الملاحظات والمظاهر البارزة التي نستنتجها نذكر:

- ارتبطت النهضة الفكرية بمدينة تهرت التي احتضنت كل الفئات وكانت مقصدًا للفقهاء والعلماء من كل الأمصار، كما أن التنافس العلمي الذي عرفته الدولة الرستمية ساهمت فيه عدة عوامل على رأسها سياسة الأئمة في تشجيع العلم وتعريب البربر وبالتالي إنتاج فكري ضخم في كل المجالات العلمية.
- إن التسامح الديني كان هو القاعدة التي ينبني عليها أي حوار، مما جعل الاختلاف المذهبي يؤدي إلى تلاقح الأفكار وينميها وبالتالي التطور الفكري والثقافي.
- إن الطابع المذهبي كان الميزة الأساسية في النهضة الفكرية عند الرستميين، فقد حظي المذهب الإباضي بقبول أهل المغرب، فاعتنقه عدد كبير من القبائل البربرية وتمسكوا بمبادئه، لا بل دافعوا عنها في أحلك الظروف، ولأنه أقرب إلى المذاهب السنية من حيث اعتزال مبادئه السياسية والمذهبية، مما جعله يستمر ويتعايش مع المذهب المالكي إلى يومنا هذا.
- اسهام الأئمة أنفسهم في الجانب العلمي والفكري، ولا أدل على ذلك من أن الشروط الأساسية في "إمام الدولة" حتى يتم انتخابه، أن يكون عالمًا بأمور الشريعة والسياسة والحكم، فاهتم الأئمة بإنشاء المؤسسات التعليمية كالكتاتيب وكذلك لإقامة الحلقات في المساجد سواء في التفسير أو الحديث أو اللغة وغيرها من العلوم، وكانوا يساهمون في التعليم بأنفسهم، ولا يتكبرون في ذلك كالإمام

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

عبد الوهاب، الذي قضى سبع سنوات يعلم الناس أمور الصلاة في جبل نفوسة، أو الإمام أفلح، الذي كان يعقد الحلقات وكذلك اهتم الأئمة بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة لمختلف فنون العلم والآثار، ومن مكتباتها المشهورة مكتبة المعصومة، التي كانت تحوي آلافًا من المجلدات والكتب في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، وكتب في الطب والرياضيات والهندسة، والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة، كانت في مجملها جامعة لمختلف المذاهب الإسلامية.

- وقد كان للمرأة دور بارز في الحركة الثقافية، فوجدت بها العديد من العالمات والمصلحات أمثال أخت الإمام أفلح وأخت الشيخ عمروس، اللتين كانتا من عالمات الدولة الرستمية، ولم يقتصر العلم على الطبقة الثرية، بل تعدى العلم وطلبه إلى الإماء، ومما ساعدها على ذلك هو ما ذكره الشماخي أن "البيت الرستمي احتوى على علوم كثيرة من فقه وإعراب ولغة وفصاحة وعلم نجوم"، كما ذكر كل من الدرجيني وأبي زكرياء عن أفراد تلك الأسرة قال: "ما عاد الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر".

الهَوامِشُ:

(١) رشيد بورويبة وآخرون: **الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ١٩٨٤، ص١١١.

(٢) معروف بلحاج: **العمارة الدينية الإباضية بوادي ميزاب**، أطروحة دكتوراه دولة في تاريخ العمارة الإسلامية، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، ٢٠٠٢، ص٢٤١.

(٣) **المعصومة**: ربما يكون قد أطلق عليها هذا الاسم لقربها من القصبة التي كانت مشرفة على السوق المسماة المعصومة، البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشر ديسولان، باريس١٩٦٥، ص٦٦، الحموي (ياقوت شهاب الدين أحمد أبو عبد الله محمد ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م): **معجم البلدان**، ج١، ج٢، ج٣، ج٤،ج٥، ج٩، دار صادر بيروت، ١٩٩٥، ج٢، ص٨، مهنا السعدي: **الدولة الرستمية دولة جهلها التاريخ**، على موقع www.frwla.com ، نظر يوم، ١١- ٠٢- ٢٠٠٦، ١٠:٤٥.

(٤) موسى لقبال: **من قضايا التاريخ الرستمي، مكتبة المعصومة، هل أحرقت؟ أم نقلت عيونها إلى سدراتة في جوار بني وارجلان؟** مجلة الأصالة، العدد ٤٤، وارجلان، ١٩٧٧م.

(٥) صالح باجية: **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، الجامعة التونسية، الزيتونة للشريعة وأصول الدين، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس ١٩٧٦، ص٥٧، وقد تحدث عنها ابن حوقل فقال: "فكانت القيروان أعظم مدينة في المغرب وأكثرها تجرًا وأموالاً وأحسنها منازل وأسواقًا، وكان فيها ديوان جمع المغرب وإليها تجنى الأموال وبها دار سلطانها وبظاهرها المكان المدعو رقادة كانت منازل لآل الأغلب"، ابن حوقل (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م): **صورة الأرض**، دار صادر بيروت، ١٩٢٨، ص٩٦، خاصةً الدور الذي لعبه مسجدها الجامع حيث قيل: "لم يبن عقبة مدينة لها جامع بل بنى جامعًا لهه مدينة"، أنور الرفاعي: **الإسلام في حضارته ونظمه**، دار الفكر، ط٢، دمشق، ١٩٨٢، ص٣٥٨.

(٦) السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب الكبير، العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية**، ج٢، دار النهضة، ص٥٧٤.

(٧) معروف بلحاج: **الإنتاج الفكري في عهد الدولة الرستمية**، مجلة الفضاء المغاربي، العدد٢، مجلة دورية يصدرها مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، وأعلامها في المغرب العربي، كلية أبو بكر بلقايد، تلمسان، أفريل ٢٠٠٤، ص٢٤١.

(٨) أبو زكرياء (يحي بن أبي بكر ت٤٧١هـ): **سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٧٩، ص٢٦.

(٩) ابراهيم بحاز بكير: **الدولة الرستمية (١٦٠- ٢٩٦هـ/٧٧٧- ٩٠٩م)، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، ط٢، جمعية التراث، القرارة، غرداية، ١٩٩٣، ص٢٦٥.

(١٠)محمد المختار اسكندر: **المفسرون الجزائريون عبر التاريخ**، ج١، حلب للنشر، الجزائر، ص ٣٤- ٣٦، السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب الكبير**، المرجع السابق، ج٢، ص٥٧٤، ورغم أن البرادي وموتلنسكي يذكران عبد الرحمن ألف شرحًا للقرآن، وقد اختفى هذا الشرح وهو أقدم شرح للقرآن ذكرته الآثار الأدبية الإباضية، إلا أن ابن الصغير يذكر أن عبد الرحمن لم يكن له كتاب معروف من تأليفه"، تاديوس ليفيتسكي: **المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية**، ترجمة ربما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط١، بيروت٢٠٠٠، ص ٣٨- ٣٩.

(١١) مهنا السعدي: المرجع السابق.

(١٢) بلحاج معروف: **الإنتاج الفكري**، المرجع السابق، ص٢٤١.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(١٣)هي التي تنزل على العباد مما ليس لهم عهد من كتاب الله، ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسرع لهم الجهاد بين مخطئ ومصيب، والكل محمول عنهم، أو مسائل نفوسة، يجيب فيه عن ٣٠٠ سؤال، ابن الصغير (كان حيًا في القرن٣ ه): **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق وتعليق محمد الناصر وابراهيم بحاز، ديوان المطبوعات الجميلة، ١٩٨٦، ص٤٥، هامش ابراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، المرجع السابق، ص٢٦٧، ذكر المخطوطة رقم تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص٤٢.

(١٤)الشماخي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد ت٩٢٨ه): **كتاب سير المشائخ**، طبعة حجرية، قسنطينة، ج١، ج٢، ص١٦٢، محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج٣، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، ١٩٦٣، ج٣، ص ٢٧٢- ٢٧٣، تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص ٤٢.

(١٥) الوسياني نقلاً عن: تاديوس ليفتسكي: المرجع السابق، ص١٤٣.

(١٦)بلحاج معروف: **الإنتاج الفكري**، المرجع السابق، ص٢٤٢، ولقد نحا نحو أبيه الإمام عبد الوهاب وألف كتابا سماه "**جوابات الإمام أفلح**"، محمد عليلي: **الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين٢-٣ه/٨- ٩م**، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، جامعة تلمسان، ٢٠٠٧- ٢٠٠٨، ص٨٤.

(١٧) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص٨١.

(١٨)الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد ت٦٧٠ه): **طبقات المشائخ في المغرب**، تحقيق وطبع إبراهيم طلابي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ١٩٧٤، ج١، ص ٨٣ - ٨٤.

(١٩)ابن الصغير: المصدر السابق، ص٨٢، يقول جودت عبد الكريم أنه كان شغوفًا باللغة والأدب، جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين ٣- ٤ه/٩-١٠م**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢، ص١٠٧.

(٢٠) رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص١١٢.

(٢١) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٨١.

(٢٢) محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج٣، ص٣٧١.

(٢٣)مبارك ميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت ، ص٧٧.

(٢٤)تكون المناظرات بين فقهاء الفرق المختلفة، وتكون متسمة باللياقة والملاطفة، تخاض فيها مسائل مذهبية ودينية، وكان يحكمهم شيخ إباضي متظلع في اللغة العربية والقرآن والحديث وعلم العقائد والتاريخ، وغالبًا ما يتحول إلى صراعات، رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص١١٣.

(٢٥)محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد**، ج١، دار الفكر العربي، مطبعة السعادة، د.ت، ص- ص ١٢٤- ١٥٩.

(٢٦) محمد عليلي: المرجع السابق، ص٤٥.

(٢٧)محمد حسين سليمان: **التراث العربي الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص٥٧.

(٢٨)إحسان عباس: **المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين**، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، المجلد١، ١٩٧٧، ص١٢٦.

(٢٩)عبد العزيز الدوري: **التكوين التاريخي للأمة العربية (دراسة في الهوية والوعي)**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص٧٩.

(٣٠) سليمان داود بن يوسف: **مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها**، الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، م١، ص ٨٢- ٨٣.

(٣١) محمد عليلي: المرجع السابق، ص٥١.

(٣٢)عثمان سعدي: **عروبة الجزائر عبر التاريخ**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص٨٦، عمر رضا كحالة: **دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية**، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٣، ص٦٠.

(٣٣) محمد عليلي: المرجع السابق، ص٦٠.

(٣٤) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص٧٧.

(٣٥)شكري فيصل: **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول**، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ١٥٧- ١٦٠.

(٣٦) عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص٧٧.

(٣٧) نفسه، ص نفسها.

(38) Robert Conevin: *histoire de l'afrique de,tome1desorigines au XVI siecle*, nouvelle edition, p.265.

(٣٩)محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص٥٨.

(٤٠)قادة سبع: **المذهب المالكي في المغرب الأوسط حتى منتصف القرن ٥ه/١١م**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران قسم التاريخ، ٢٠٠٣- ٢٠٠٤، ص٤٥.

(٤١)رابح بونار: **المغرب العربي، تاريخه وحضارته**، ط٣، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د.ت، ص٣٧، وداد القاضي: **ابن الصغير**، مجلة الأصالة، الملتقى١١ للفكر الإسلامي بوارجلان، العدد٤٥، قسنطينة، ١٩٧٧، ص٢٣٣.

(٤٢) رشيد بورويبة و آخرون: المرجع السابق، ص٢٠.

(٤٣)بن محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص٧٢.

(٤٤) رشيد بورويبة وآخرون: المرجع السابق، ص١٢٠.

(٤٥) مبارك ميلي: المرجع السابق، ج٢، ص٨٦.

(٤٦)ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨ه/١٤٠٥م): **المقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧، ص٤٣١.

(٤٧) أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص٢٩٣.

(٤٨)شارل أندري جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية**، ج٢، (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) **من الفتح الإسلامي إلى ١٨٣٠**، تعريب محمد مزالي و البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط٢، تونس، ١٩٨٣، ص٦٥.

(٤٩) رابح بونار: المرجع السابق، ص٨٤.

(٥٠) ابن الصغير: المصدر السابق، ص١٣.

(٥١)هو المعز بن باديس بن المنصور، ولد بالمنصورية سنة ٣٩٨- ٤٥٤، ولما توفي أبوه أخذت البيعة في ٤٠٧ه، ولما كانت سنة صغيرة ثمان سنوات، مارست المهام بدلاً منه عمته السيدة ملال، وقد بلغت في أيامه حضارة المغرب أوجها، ينظر، ابن أبي دينار: ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني) (ت١١١٠ه/١٦٩٨م): **المؤنس في أخبار افريقية وتونس**، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط٣، ١٩٥٧، ص٨١، ابن أبي عذارى المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حيا سنة ٧١٢ه): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال، ج١، دار الثقافة، بيروت، الطبعة٢، ١٩٨٠، ص٢٦٧.

(٥٢) رابح بونار: المرجع السابق، ص ٨٤.

(٥٣)ابن الصغير: المصدر السابق، ص٥٧، الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٢٢، ألفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، دار الغر ب الإسلامي، بيروت، لبنان، د.ت، ص١٧٠، ذكره القيرواني بعبد العالي، الرقيق القيرواني: **تاريخ افريقية والمغرب من أواسط القرن الأول الهجري إلى أواخر القرن الثاني الهجري**، تحقيق وتقديم المنجي الكعبي، توفيق السقطي، تونس، ١٩٦٨، ص١٤١.

(٥٤)يقول الرقيق القيرواني: (وكان صفريا يعبد الله وهو الذي قدم على طليعة أهل الشام مع عبيد الله ابن الحبحاب)، ينظر، الرقيق القيرواني: نفسه، ص نفسها، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩ ج٤، ص٢٢٣، بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٣٢.

(٥٥)قال المالكي: (دخل عكرمة إفريقية وأقام في القيروان، وبث بها العلم، وكان مجلسه في مؤخر جامع القيروان في غربي الصومعة)، ينظر، المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد ت في القرن ٥ه/١١م): رياض النفوس في طبقات علماء

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

القيروان وإفريقية وزادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، ج٢، تحقيق بشير البكوش، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص١٤٦، و ذكره الشهرستاني بين رجال الخوارج دون أن يحدد أي فرقة منهم، ينظر، الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد): **الملل والنحل**، المجلد١، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص١٣٧، أما ابن خلكان، فقال فيه: (وقد تكلم الناس فيه لأنه يرى رأي الخوارج)، ينظر، ابن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٠، ج٣، ص٢٦٥.

(٥٦) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص١١، صالح باجية: **الإباضية بالجريد**، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ت، ص ٢٤ - ٢٥، ابراهيم بحاز: **الشخصيات لها تاريخ عبد الرحمن بن رستم**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٩٠، ص١١.

(٥٧) ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، المجلد الأول والثاني، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣، م١، ص١٠٩٠.

(٥٨) مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من القرن٦هـ/١٢م): **الإسبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق سعد زغلول، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص٢٨٠، حيث لقبه بالفاطمي وكذا ابن أبي دينار الذي يسمي الأدارسة بالفواطم، ينظر، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص٩٩، وفي جمهرة الأنساب نجده "إدريس بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي كرم الله وجهه". ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق ليفي برفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٨، ص٤٩.

(٥٩) عبد الرحمن بن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص٢١٠، كما يذكر بن خلدون: "كان واضح، يتشيع.."، عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، م١، ص١٤٢٨.

(٦٠) عبد الرحمن بن خلدون: **العبر**، المصدر نفسه، ص نفسها، ابن عذارى: المصدر السابق، ج١، ص٢١٠.

(٦١) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت٦٣٠هـ): **الكامل في التاريخ**، دار صادر للطباعة والنشر، ج٣ ج٤، ج٥، ج٦، ج١٠، بيروت، ١٩٧٩، ج٦، ص١٢٧.

(٦٢) أبو حنيفة النعمان: **رسالة افتتاح الدولة**، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، ص٧١، ابن الأثير: المصدر نفسه، ص١٣٣، موسى لقبال: **دور كتامة في الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٩، ص ٢٣١- ٣٢٩.

(٦٣) أبو حنيفة النعمان: المصدر نفسه، ص ١٢١- ١٢٢، حيث يقول: "واستولت أمور أبي عبد الله الشعبي على عامة كتامة وغلب أمره عليها ولم يبق فيها إلا من يدخل دعوته، إما راغبًا و إما راهبًا أو مخذولاً".

(٦٤) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، المصدر السابق، ج٦، ص١٥٨.

(٦٥) محمد منصور الزاوي: **الحضارة الإسلامية بين تخريف أبنائها وتحريف أعدائها**، دراسة ماجستير ١٩٩٠، ص٣٨، ويفهم مما ذكره القاضي عياض: قال المهدي: "أخبرني بعض نقاض المعتزلة من القرويين، قال: أتيت مالك بن أنس..."، القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق أحمد بكير محمود، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٧، ج١، ص٩٠.

(٦٦) محمد منصور الزاوي: نفسه، ص٣٨.

(٦٧) البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، نشر ديسولان، باريس١٩٦٥، ص٦٧، أبو زكرياء: المصدر السابق، ص٧٤، الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص٨.

(٦٨) ابن الصغير: المصدر السابق، ص ٩٣- ٩٤، الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص ٦٢- ٦٧، وما يوضح كثرة عددهم في تهرت قولهم: "إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفينا عقدنا للإمام ونهضنا فقتلنا السلطان"، ينظر أبو الحسن الأشعري: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، الجزء١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت ، ص٤٦٦.

(٦٩) جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص١٠٢، و أيضًا:
Abdalla Laroui: ***l'Histoire du magreb*** *(un essai de synthese) tome1*, petite collection maspero, p.110.

(٧٠) سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ج٢، ص١٠٩.

(٧١) جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٤، ص١٠٩.

(٧٢) إيف لاكوست: **الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة استنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٤، ص٦٢.

(73) A.Laroui: ***L'histoire du Maghreb***, Op.Cit, p104.

(٧٤) جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص١٠٨.

(٧٥) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٣٦.

(٧٦) جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص٢٨٢.

(٧٧) نكولا زيادة: **الجغرافيا والرحلات عند العرب**، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢، ص١٤٧.

(٧٨) موريس لومبار: **الإسلام في مجده الأول (القرن ٢- ٥هـ/٨- ١١م)**، ترجمة وتعليق اسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط١، الجزائر، ١٩٧٩، ص٣٢٤.

(٧٩) رشيد الزواوي: **التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد ١، ١٩٩٣، ص ٣٢٤- ٣٣٩، هوارية بكاي: **العلاقات الثقافية للزيانيين والمرينيين**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، تلمسان، ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨، ص٢٢٧.

(٨٠) لخضر لعبدلي: **الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٦- ١٥٥٤م)**، دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان، ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥، ص١٦٠.

(٨١) القلصادي علي بن محمد القرشي الأندلسي: **رحلة القلصادي**، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٨، ص٥٩.

(٨٢) عبد الرحمن بن خلدون: **المقدمة**، المصدر السابق، ص ٥٥٩- ٥٦٠.

(٨٣) محمد الفاضل بن عاشور: **محاضرات المغربيات**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت، ص٨.

(٨٤) عمر رضا كحالة: **دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية**، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٩٧٣، ص٦٢.

(٨٥) نكولا زيادة: المرجع السابق، ص١٥.

(٨٦) نفسه، ص نفسها.

(٨٧) محمد عليلي: المرجع السابق، ص٧٤.

(٨٨) البرادي نقلاً عن: جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص١٠٨.

(٨٩) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٤٦.

(٩٠) نفسه، ص٤٧.

(٩١) عمر رضا كحالة: المرجع السابق، ص٥٩.

(٩٢) خالد بلعربي: **العلاقات الثقافية بين تهرت ومراكز الفكر في المغرب الإسلامي حتى القرن ٥هـ/١١م**، مجلة القضاء المغاربي، العدد٢، خاص بالملتقى الوطني الثاني، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية في المغرب العربي، تلمسان، ٢٠٠٤، ص٢٥٢.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

(٩٣)الونشريسي: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب**، ج٢، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص٤٤٦.

(٩٤) جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص٣١٨.

(٩٥)كانت غزالة مالكته لأمر الإمام أبي اليقظان وحشمه، وهي أم لأبنه يوسف المكنى بأبي حاتم يقول عنه ابن الصغير: "أنه كان شابًا يجمع الفتيان إلى نفسه، فيطعم ويكسي، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأمور أبي يقظان وحشمه، فلما كان في بعض الأعياد وأبو اليقظان حي في قصره ولم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة، ونادت بطاعته، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة، فقد أصبح اليوم ابنك باغيًا، ابن الصغير: المصدر السابق، ص٨٩، سليمان الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، دار البعث، ط٣، قسنطينة ٢٠٠٢، ج٢، ص ٣٤٨- ٣٤٩.

(٩٦) جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص٣١٩.

(٩٧) الدرجيني: المصدر السابق، ج١، ص٧١.

(٩٨) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص٨٢.

(٩٩)الشماخي: المصدر السابق، ج١، ص١٦٣، جودت عبد الكريم: **العلاقات الخارجية**، المرجع السابق، ص٣١٨.

(١٠٠) إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية**، المرجع السابق، ص٣٢٣، سليمان داود بن يوسف: المرجع السابق، ص٦١.

(١٠١) بلحاج معروف: المرجع السابق، ص٢٤٠.

(١٠٢) يسميه ابن خلدون بعلم الهيئة ويقول عنه: "وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك"، ينظر عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص٥١٣.

(١٠٣) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص٨٩.

(١٠٤) ابن الصغير: المصدر السابق، ص٨١.

(١٠٥) أبو زكرياء: المصدر السابق، ص٨٩، كما ذكر الوسياني أنه أدار ثلاث حلقات علمية، الوسياني نقلاً عن تاديوس ليفيتسكي: المرجع السابق، ص١٤٣.

(١٠٦) سليمان داوود بن يوسف: المرجع السابق، ص ٦٠- ٦١.

(١٠٧) ابراهيم بحاز: المرجع السابق، ص٣١٧.

(١٠٨) المرجع نفسه، ص نفسها.

(١٠٩) جمعية التراث: **أعلام الإباضية منذ القرن ١هـ إلى العصر الحاضر**، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر ١٩٩٩، المجلد٢، ص٣٠٧.

(١١٠) سليمان داوود بن يوسف: المرجع السابق، ص٦١.